Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

Values dealing with disobedient and guilty people in light of the Sunnah

Omran Mohammed Ismael Mazory

Lect. /College Of Islamic Science/ Salahaddin University-Erbil

Article Information

Article History:
Received November 12, 2023
Reviewer December 13 .2023
Accepted December 23, 2023
Available Online June 01 , 2024

Keywords:
Dealing
Disobedient
Sunnah

Correspondence:
Omran Mohammed Ismael Mazory
imran.ismael@su.edu.krd

Abstract

There is no doubt that man is not safe from error and disobedience except those whom God Almighty has protected from among the prophets, and one of the functions of the Islamic religion is to take disobedient by the hand to bring them out of the darkness of disobedience into the light of goodness and faith.
This requires wise dealing and noble values in order to guide them towards goodness, and the purpose of our research is explain those high values that our Prophet (peace be upon him) guided us to through his Sunnah, following the analytical approach in dealing with the research issues by extrapolating the texts of Sunnah contained in this field, and then analyze them, explain their significance, and extract the benefits and values that can be derived from them in dealing with disobedient and sinners.

DOI: 10.33899/radab.2023.144616.2026 ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

قيم التعامل مع العصاة والمذنبين في ضوء السنة النبوية

عمران محمد اسماعيل مزوري*

المستخلص

مما لا ريب فيه أن الإنسان لا يسلم من الخطأ والعصيان إلا من عصمه الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، ومن وظيفة الرسالة الإلهية الأخذ بيد العصاة لإخراجهم من ظلمات العصيان إلى نور الخير والإيمان، وهذا يتطلب تعاملا حكيماً ومعاملة مزينة بالقيم الكريمة من أجل تأليف قلوبهم نحو الخير، والغرض من بحثنا هذا ما هو إلا بيان تلكم القيم الرفيعة التي أرشدنا إليها نبينا الكريم T من خلال سنته الشريفة قولا وفعلا وتقريرا، متبعا المنهج التحليلي في معالجة مسائل البحث وذلك باستقراء النصوص الشريفة الواردة في هذا المضمار ثم تحليليها وبيان دلالتها واستخراج ما يستفاد منها من الفوائد والقيم للتعامل مع العصاة والمذنبين، وتكلل البحث في النهاية بجملة من النتائج المفيدة ومنها: أن الهدف الأسمى في الإسلام في مواجهة العصاة والتعامل معهم هو الإصلاح والتوجيه نحو الخير وليس عقابهم وإيذائهم، والتعامل الصحيح المحلى بالرحمة والعطف والتعاون هو ما يحقق تلك البغية المنشودة.

الكلمات المفتاحية: التعامل، العصاة، السنة النبوية.

*مدرس / كلية العلوم الإسلامية / جامعة صلاح الدين- اربيل

المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين، أما بعد:

فمما لا ريب فيه شرعا وعقلاً أن الإنسان الذي هو خليفة الله في الأرض لا يسلم من الخطأ والزلل، وهو في تجاذب دائم بين الخير والشر، يغلب جانب الخير فيه حينًا ، ويسطو عليه الشر حينًا آخر، فهذا هو ديدنه في الحياة، ومهما بلغ الإنسان مراتب الحسن والصلاح لابدّ أن يقع في الهفوات بين حين وآخر، فلا عصمة لأحد من ذلك إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، فهذه حقيقة ساطعة لايختلف عليها اثنان، ولا يتناطح فيها عنزان.

ومادامت هذه هي طبيعة الإنسان فينبغي التعامل مع سقطاته وهفواته تعاملاً إنسانيًا بحيث يتوافق مع القيم والفضائل الإنسانية، والإسلام بما أنه دين إلهي والمخاطب به هو الإنسان فبالنظر الفاحص في تعاليمه ومبادئه المتمثلة في الكتاب والسنة نجدها تُناسِب وخلقة الإنسان وفطرته في كل جوانبها ونواحيها، ما يدل على أنه دين إنساني بمعنى أنه راعى الطبيعة البشرية في أحكامه وتعاليمه.

ومما يدل على ما قلت بوضوح هو تجلي القيم الإنسانية الرفيعة في تعامل النبيT مع العصاة والمذنبين، وبحثي هذا ما هو إلا محاولة لإبراز هذا الجانب المشرق في السنة النبوية الشريفة وسيرتها العطرة وسميته بـــ(**قيم التعامل مع العصاة والمذنبين في السنة النبوية**)، واخترنا خمس قيم نبوية من بين القيم الواردة في سنته الشريفة في التعامل مع العصاة وتناولناها بالبحث في خمس مباحث، ليشمل كل مبحث قيمةً نبويةً بالدراسة والتحليل، وهي: النظر إلى العصاة نظرة إنسانية، والرحمة بهم، والتحلي بالعدالة والإنصاف في التعامل معهم، وتعاونهم على البر والتقوى، وعدم السخرية منهم والترفع عليهم

إشكالية البحث:

التعامل مع العصاة والمذنبين ينبغي أن يكون على وجه يهدف إلى إصلاحهم وتوجيههم نحو الخير وليس تنفيرهم أوعقابهم، ويمكن إبراز إشكالية البحث في الأسئلة الآتية :

1. كيف تعامل النبيT مع العصاة والمذنبين؟
2. ما القيم التي جعلها النبي T أساس تعامله معهم؟
3. وما أثر تلكم القيم النبوية الإنسانية في الإصلاح والتوجيه نحو الخير؟

ويحاول البحث الإجابة عنها بما يحقق البغية المنشودة من البحث.

أهمية البحث:

اصلاح المجتمع من المبادئ العليا التي قامت عليها الرسالات السماوية، واصلاح من يفسد أعمالهم المجتمع وتوجيههم نحو الخير والإحسان ركيزة أساسية لإصلاح المجتمع، وذلك لا يتحقق إلا بتعاملهم تعاملاً صحيحاً يجذبهم نحو الخير، ويقبح الفساد في نفوسهم ونظرهم، والموضوع مع أهميته فبعد بحث وتتبع لم أظفر بدراسة أكاديمية تتناول كيفية التعامل مع العصاة والمذنبين سوى دروس ومقالات وخطب منبرية منشورة على شبكة الإنترنيت، ومن هنا تظهر أهمية البحث في بيان المبادئ وأسس التعامل الصحيح مع العصاة والمذنبين من خلال السنة النبوية الشريفة وإرشاداتها الكريمة في هذا المجال.

هدف البحث:

جاء البحث ليبرز المبادئ الصحيحة والأسس الكفيلة بتحقيق ما يرنو إليه الدين الحنيف في الأخذ بيد العصاة والمذنبين من ظلمات العصيان إلى نور الخير والصلاح؛ وذلك بالاستناد إلى الإرشادات النبوية والتعامل الواقعي للنبي T مع هذه الفئة من الناس.

منهج البحث:

تقتضي طبيعة الموضوع اتباع المنهج التحليلي في معالجة مسائل البحث وذلك باستقراء النصوص النبوية الشريفة الواردة في هذا المضمار ثم تحليليها وبيان دلالتها واستخراج ما يستفاد منها من الفوائد والقيم للتعامل من العصاة والمذنبين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه أجمعين

المبحث الأول

النظر إليهم نظرة إنسانية

النظر إلى العاصي والمذنب بأنه بشر يخطئ ويذنب، والتعامل معه على هذا الأساس سنة نبوية كريمة، فإنه من المعلوم بالضرورة بأنه لا يوجد إنسان يسلم من الخطا والخطل إلا من عصمه الله تعالى من الأنبياء والمرسلين، فقد جبل البشر على أن يقعوا في الخطأ والتقصير، وهذه حقيقة أكدتها السنة النبوية الشريفة، ومنها ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ Z، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ T: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))[1].

ويقول القرطبي : " وحاصل هذا الحديث: أن الله تعالى سبق في علمه أنه يخلق من يعصيه فيتوب، فيغفر له، فلو قدر ألا عاصي يظهر في الوجود لذهب الله تعالى بالطائعين إلى جنته، ولخلق من يعصيه فيغفر له، حتى يوجد ما سبق في علمه، ويظهر من مغفرته ما تضمنه اسمه الغفار، ففيه من الفوائد: رجاء مغفرته والطمع في سعة رحمته"[2]

والسر في ذلك كما بينه شراح الحديث هو ظهور صفة الحلم والكرم والغفران في الإنسان إذ هو خليفة الله في الأرض، وهو سبحانه يتجلى له بصفاته العليا، وعليه إن لم يوجد الخطأ والعصيان من الإنسان لما تتجلى تلكم الصفات الإلهية التي تقتضي الرحمة والغفران والحلم والكرم[3].

كما أن في الحديث رداً على من ينكر صدور الذنب من الإنسان، وعدّه نقصا فيهم مطلقاً ، وأن الله لم يرد ذلك من العباد، كالمعتزلة[4] ومن سار على دربهم[5]. ولا يخفى مافي هذه الفكرة من أثر سلبي في التعامل مع المذنبين والتسرع إلى تكفيرهم ليصل إلى إباحة دمه، المصيبة الكبرى التي تتأوه منها الأمة منذ ظهور الخوارج في عصر الخلافة الراشدة إلى يومنا هذا.

ومما يؤكد على حقيقة عدم سلامة الإنسان من الذنب والعصيان هو حديث أَنَسٍZ ، أَنَّ النَّبِيَّ T قَالَ: ((كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)) [6]. وهو واضح الدلالة أيضا على أنه لا يوجد آدمي يسلم من الخطأ وهو من جبلته وخلقته.

ومما يفهم من الحديثين الشريفين المذكورين أن صدور الخطأ من الإنسان يتكرر على الدوام بين حين وآخر ويكثر ذلك منه ، فقد ورد في الحديث الأول التعبير عنه بالفعل المضارع" يذنبون" الدال على الاستمرارية، وفي الثاني ورد بالصيغة المبالغة" الخطَّاء" الدالة على الكثرة، وما يؤكد هذا المعنى هو حديث أَبِي هُرَيْرَةَZ، عَنِ النَّبِيِّT، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: ((أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ

---

[1]- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت، الصحيح، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم (2749)، 2106/4.

[2]- القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، بيروت: دار ابن كثير، 1996م، 81/7.

[3]- الأثيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى ، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، الرياض: دار ابن الجوزي، 1436ه، 590/42.

[4]- "فرقة إسلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، وسلكت منهجا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري". المعتق، عواد بن عبدالله، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، الرياض: مكتبة الرشيد، 1995م. ص 13-14.

[5]- الأثيوبي، مصدر سابق، 590/42.

[6]- الترمذي، السنن، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب، رقم (2499)، 659/4، وأبو يعلى الموصلي، المسند، مسند أنس بن مالك، رقم (2922)، 301/5، وقال حسين سليم في تعليقه على مسند أبي يعلي: إسناده حسن.

تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ)) [1].

ومعرفة هذا الأمر مهم للغاية كي يتأتى لنا كيفية التعامل الصحيح مع الآخرين إذا تكرر منهم العصيان والخطأ، ونتخلق بأخلاق ربّنا تعالى من العفو والصفح له إذا لم يكن الخطأ عن عمد وتقصير مفرط منه.

وبناء على ما سبق ينبغي لنا أن نؤسس تعاملنا مع خطأ الآخرين وذنوبهم على هذه النظرة النبوية الإنسانية، وأن لا نبرّئ أنفسنا مما يصدر عن الآخرين من هفوات ولا ننظر إليهم نظرة دونية، فإن ما يحدث لهم قد يحدث لنا أيضاً على صورته أو صورة أخرى؛ بل من إحدى الأسرار التي تكمن وراء عدم سلامة الإنسان من السقطات هو الابتعاد عن العجب بالنفس فشره أكبر من الوقوع في المعصية نفسها، وهذا ما تلمحه الإمام الزاهد ابن قيم الجوزية ونص على هذا المكمن بقوله: " غير أني تلمحت في هذه الحالة- عدم دوام اليقظة للنفس- دقيقة، وهو أن النفس لو دامت لها اليقظة، لوقعت فيما هو شر من فوت ما فاتها، وهو العجب بحالها، والاحتقار لجنسها! وربما ترقت بقوة علمها وعرفانها إلى دعوى قولها: "لي، وعندي، واستحق ... " فتركها في حومة ذنوبها تتخبط، فإذا وقفت على الشاطئ، قامت بحق ذلة العبودية، [وذلك] أولى لها، هذا حكم الغالب من الخلق، ولذلك شغلوا عن هذا المقام، فمن بذر، فصلح له، فلا بد له من هفوة تراقبها عين الخوف من عقابها رفقًا بها، تصح له عبوديته، وتسلم له عبادته، وإلى هذا المعنى أشار الحديث الصحيح: ((لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون، فيغفر لهم)) " [2] و " لذا قيل أنين المذنبين أحب إلى الله تعالى من زجل صوت المسبحين؛ لأن زجلهم يشوبه الافتخار وأنين أولئك يشوبه الإنكسار"[3]

والأسس المستفادة مما مضى من البيان في كيفية التعامل مع العصاة والمذنبين:

1. النظر إليهم نظرة إنسانية بأن من خلقتهم وجبلتهم التعرض للهفوات والسقطات.
2. اعتبار نفسك منهم من حيث التعرض لما حدث لهم؛ كي لا تنظر إليهم نظرة دونية واستحقارية فتصاب بداء العجب.
3. تقابلهم بالعفو والصفح امتثالاً لقوله تعالى : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 109].

المبحث الثاني

الرحمة بهم

ومعناها الشفقة واللين والعطف[4]، وعرفها الجرجاني بقوله: " هي إرادة إيصال الخير"[5]، وعليه فالذي يعنينا هنا هو التحلي باللين والعطف في التعامل مع العصاة في سبيل إيصال الخير إليهم، وهي من القيم النبوية الشريفة؛ بل هي عنوان رسالتهT كما وصفه الله تعالى في كتابه الكريم:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: 107]؛ بل الله يمن عليهT بأن أودع برحمته في قلبه وكيانه هذا الخلق الكريم وينبهه بأن الغلظة والخشونة عواقبها غير محمودة فيقول تعالى : {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: 159].

والواقع في المعصية والذنوب من أشد الناس حاجة إلى الرحمة ، وأن يُعاملوا بالرفق واللين؛ وذلك لأنهم مرضى، وواضح أن المريض كلما اشتد مرضه كان في حاجة إلى الرحمة والشفقة، فغاية الطبيب وأهل المريض هي معالجته ونجاته مما ألمّ به، وعلى هذا الأساس يجب أن نبني علاقتنا مع العصاة، ويكون هدفنا صلاحهم وليس معاقبتهم وذلك بإخراجهم من قعر الذنوب إلى روضة الصلاح والإحسان، ولا يتحقق ذلك بدون الرحمة والرفق؛ فالغلظة والخشونة تعطي نتائج عكسية فبدل الإصلاح يكون الإفساد، وفي مكان الخير يكون الشر.

---

[1]- مسلم، الصحيح، كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (2758)، 2112/4.

[2]- ابن القيم الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، صيد الخاطر، دمشق: دار القلم، 2004م، ص74.

[3]- الخادمي، أبو سعيد محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية ، مصر: مطبعة الحلبي، 1348ه. 2/ 237.

[4]- ابن فارس، أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (المتوفى: 395هـ)، مقاييس اللغة، بيروت: دار الفكر، 1979م، 498/2.

[5]- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: 816هـ)، التعريفات، بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م، ص 110.

وقد نص النبيT في أحاديث كثيرة على أهمية الرحمة وحث المسلمين على التحلي بها في علاقاتهم مع الآخرين لما لها من ثمرات جليلة وفوائد عظيمة، ومنها أنها سبب لنزول الرحمة الإلهية علينا كما في قوله T :((الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاء)) [1]، فما أحوجنا إليها!! فلولا رحمة الله تعالى لما عشنا بسلامة ولو لحظة.

والرحمة والرفق أيضا هو سبيل النجاح وزينة العمل وبهاؤه كما يقولT: ((مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إلا زَانَهُ وَلَا عُزِلَ عَنْهُ إِلَّا شَانَهُ))[2].كما أن عدم الرحمة سبب للشقاء والحياة المريرة ، يقول T:((لا تُنْزَعُ الرَّحمَةُ إلا من شَقِيٍّ)) [3].

ومن هذا المنطلق نجد تجليات الرحمة في أروع صورها في تعامل النبي T مع مرتكبي الذنوب والآثام، وفي سيرته المباركة نماذج جليلة بهذا الصدد، ومنها:

رفقه ورحمته T بالشاب الذي جاء إليه يستأذنه بالزنا هذا العمل القبيح والذنب العظيم، وقصته رواها الصحابي الجليل أبو أُمَامَةَZ قَالَ: ((إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ T فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: " ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا ". قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: " أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ ". قَالَ: " أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟ " قَالَ: لَا. وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ. قَالَ: " وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ ". قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: " اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ " قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))[4] فكما هو واضح أن النبي T عامله بمنتهى الرفق واللين، دون تعنيف وتزجير؛ بل نهى أصحابه من زجره، فقربه إليه وأقنعه بأسلوبه الرائع بأن ما يريد أن يفعله عمل سيء قبيح، وكانت النتيجة كما ورد في الحديث: ((فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ))؛ فكرهه وقبّحه.

l,ومنها أيضاً قصة الأعرابي الذي بال في المسجد كما في حديث أنس بن مالك Z،((أَنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ، فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِT: «لاَ تُزْرِمُوهُ» ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ)) [5] فأخذ النبيT الأمر بكل سهولة وعامله بمنتهى الرفق واللين، ونهى الأصحاب عن زجره "وأمر أن لايهاج حتى يفرغ من بوله تأنيسًا له ورفقًا به"[6]، ورحمة به أيضاً لأن قطع البول عليه قد يضر بصحته وحالته النفسية، ثم دعا النبي T الأعرابي وبيّن له سوء عمله هذا كما جاء في رواية أخرى عند مسلم وقالT له : ((إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ))[7].

ومن هنا ظهرت لنا أهمية الرحمة والرفق في إصلاح الأنفس الواقعة في الذنوب، والحيلولة دون التمادي فيها والاستمرار عليها، كما تجلى لنا مدى تقبل تلكم الأنفس للنصحية والرجوع بكل سهولة إلى الصواب والصراط المستقيم دون أن تأخذهم الحمية والعزة بالإثم، وهذا من ثمرات الرحمة والرفق في المعاملة.

المبحث الثالث

العدالة والإنصاف

---

[1]- أبوداود، السنن، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم (4941)، 285/7، والترمذي، السنن، أبواب البر والصلة، رقم(1924)، 324/4. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

[2]- أحمد، المسند، مسند النساء، مسند الصديقة عائشة بنت الصديق، رقم (25709)، 467/42، والمقدسي، الأحاديث المختارة، رقم (1778)، 154/5. وقال محققوا المسند: إسناده صحيح على شرط مسلم.

[3]- أبوداود، السنن، كتاب الأدب، باب في الرحمة، رقم (4942)، 286/7، والترمذي، السنن، أبواب البر والصلة، رقم(1923)، 323/4، وقال الترمذي: حديث حسن ، وابن حبان، الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: ابن بلبان، كتاب البر والإحسان، باب الرحمة، رقم (466)، 213/2.

[4]- أحمد، المسند، مسند الأنصار، رقم (22211)، 545/36. وقال محققوه: إسناده صحيح.

[5]- البخاري، الصحيح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، رقم (6025)، 12/8، ومسلم، الصحيح ، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره وغيره من النجاسات، رقم (284)، 236/1.

[6]- ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ)، شرح صحيح البخاري، الرياض: مكتبة الرشيد، 1423ه. 226/9.

[7]- مسلم، الصحيح، ، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات، رقم (285)، 236/1.

العدالة في اللغة تعني الاعتدال والاستقامة، وعرفها أهل العلم بأنها" إعطاء كل ذي حق حقه"[1]، والإنصاف هو المعاملة بالعدل، وقصدنا بالعدالة هنا التعامل مع العاصي بالعدل والإنصاف بحيث لا ننسى حسناته ولا نتجاهل ايجابياته بسب ذنوبه وآثامه؛ بل يجب أن نرى خيراته أيضا ليكون تعاملنا معه يتصف بالعدالة والإنصاف، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ [المائدة: 8]

والعدالة قيمة سماوية فريدة قامت عليها كل الرسالات الإلهية إلى البشرية كما يقول تعالى : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [يونس: 47] ويقول تعالى أيضاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]، ويقول الرازي : " والميزان هو الذي يتوسل به إلى فعل ما ينبغي من الأفعال البدنية، فإن معظم التكاليف الشاقة في الأعمال هو ما يرجع إلى معاملة الخلق، والميزان هو الذي يتميز به العدل عن الظلم والزائد عن الناقص"[2] والله تعالى حينما أمر رسله القيام بالقسط لم يفرق في التعامل على أساس العدالة مع الناس بين هذا وذاك؛ بل الخطاب عام ويشمل البشرية جمعاء كل واحد له الحق ويستحق أن يُعامل بالعدل، وذلك لتكون العدالة قيمة إنسانية ويعامل بني البشر فيما بينهم على هذا الأساس ويُنصف بعضهم البعض في المعاملة بغض النظر عن الجنس والنوع والدين والمكانة.

والعصاة والمذنبون ليسوا خارجين من جنس الإنسان مهما كان ذنبهم كبيراً ، كما أنهم لا يخلون من خير مهما كان خطؤهم جسيماً؛ لذا ينبغي إظهار محاسنهم في هذا الموقف وتسليط الضوء على ما فيهم من الخير ليسهل التعامل مع خطاياهم بغية معالجتها وتجنبهم من التمادي فيها، وقد حث النبي T الناس على التحلي بالعدالة والإنصاف في معاشرة الخلق، ويقول T : ((لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ))[3] ، هنا يرشد النبي T الأزواج إلى كيفية معاشرة زوجاتهم والتعامل مع خطاياهن ومعايبهن، ويبين بأنه " لا ينبغي ينبغي للرجل أن يبغضها؛ لما يرى منها فيكرهه؛ لأنه إن استكره منها خلقاً، فلعله استحسن منها غيره، فليعارض هذا بذاك" [4] ويجب أن يكون منصفا معها فلا يسطر على نظرته إليها الشر والكره وينسى ما فيه الخير والحسن فـــــ"هي أشبه بكوب فيه قليل من الماء، إن نظرت إلى الماء فيه وإن قل رأيت خيرًا، وإن نظرت إلى الفراغ فيه وعدم الفائدة رأيت شرًا، فانظر إلى ما عندها من خير، وتغاضى عما يقابلك من شر، ولا تترك البغض يسيطر على حياتك وحياتها، فإن كان فيها شر، ففيها جانب من خير".[5]

وهذا إن ورد في معرض المعاشرة الزوجية خصوصا؛ لكنه لا يعني أنه يخص الحالة الزوجية فقط بل هو قاعدة عامة[6] في التعامل مع مع كل الواقعين في الأخطاء والمعاصي، أما تخصيص النبيT الأزواج هنا بالخطاب فيعود لأهمية الأسرة ومكانتها إذ هي اللبنة الأولى للمجتمع فإذا صلحت صلح المجتمع كله، وإذا فسدت فسد المجمتع كله؛ وعليه إن رسخ هذا الخلق الجميل فيها واستتقر فسينعكس على المجتمع بالضرورة.

ومما يدّل على ذلك وعمومية تلك القاعدة الجليلة هو تعامل النبيT العملي بمقتضاها وبالنظر في سيرته العطرة نجد نماذج رائعة في هذا المضمار ومنها:

قصة حاطب بن أبي بلتعة الذي ارتكب خطأ كبيرا بحق النبيT ودولته والمسلمين، فقد حاول تسريب معلومات سرية وخاصة إلى قريش أعداء النبيT فيما يتعلق بعزم النبي T فتح مكة، وهذا يسمى في العرف الدولي اليوم بالخيانة العظمى التي يعاقب مرتكبها بأشد

---

[1]- القاري، أبو الحسن نور الدين علي بن محمد، الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت: دار الفكر، 1422ه. 3439/8.

[2]- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (المتوفى: 606هـ)، مفاتيح الغيب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420هـ. 470/29.

[3]- مسلم، الصحيح، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، رقم (1469)، 1091/2.

[4]- الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (743هـ)، الكاشف عن حقائق السنن، الرياض: مكتبة نزار، 1417هـ. 2326/7.

[5]- لاشين، موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، عمان: دار الشروق، 1423هـ. 48/6.

[6]- ابن قرقول، ابو اسحاق إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، (المتوفى: 569هـ)، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، قطر: دار الفلاح، 1433ه، 214/5.

أنواع العقاب، ومع ذلك لم يعاقبه النبي T؛ بل عفا عنه من باب الإنصاف ، وعارض سوء عمله هذا بما سبق له عمل خير عظيم من شأنه التغاضي لأجله عن خطأٍ كهذا، وهو مشاركة غزوة بدر الكبرى التي كانت النصر فيها اثبات وجود المسلمين وهيمنتهم، كما أن الهزيمة تعني نهاية الدعوة الإسلامية، والقصة –كما رواها الشيخان- هي أن: عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: ((بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ T أَنَا وَالزُّبَيْرَ، وَالمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ، قَالَ: «انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً، وَمَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا أَخْرِجِي الكِتَابَ، فَقَالَتْ: مَا مَعِي مِنْ كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا، فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ T، فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ T، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ T: «يَا حَاطِبُ مَا هَذَا؟»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِي، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا، وَلاَ رِضًا بِالكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ T: «لَقَدْ صَدَقَكُمْ»، قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا المُنَافِقِ، قَالَ: " إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ))[1]

ومنها أيضا ما روي عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ: ((أَنَّ رَجُلًا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ T كَانَ اسْمُهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُلَقَّبُ حِمَارًا، وَكَانَ يُضْحِكُ رَسُولَ اللَّهِ T، وَكَانَ النَّبِيُّ T قَدْ جَلَدَهُ فِي الشَّرَابِ، فَأُتِيَ بِهِ يَوْمًا فَأَمَرَ بِهِ فَجُلِدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: اللَّهُمَّ العَنْهُ، مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ T: «لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) [2]كما هو ظاهر في الحديث أن النبي T رغم ارتكاب عبدالله هذا ذنباً كبيراً ؛ بل وتكرره منه، لم يرض من الصحابة لعنه وشتمه رغم عظم معصيته، ونهىT عنهم من النيل منه بالقول، وبيّن لهم مع عصيانه هذا أن لا تنسوا ما فيه من الخير الكثير وهو محبة الله ورسوله؛ ومن الملفت للنظر في هذا الحديث هو أنه – أعني عبدالله- كان ممن يضحك النبيT بنكاته ولطائفه ما يدل على علاقة ودية خاصة بينه وبين النبيT، ولم يكن النبيT ليقاطعه ويعنفه على معصيته لما تلمس منه الخير وهو صدق محبته لله ولرسوله.

وعليه فالعدالة والإنصاف في التعامل له دور كبير في إصلاح المذنب وتوجيهه نحو الخير، فهو خلق نبوي رفيع، وقيمة جليلة مثمرة في التعامل مع العصاة والمذنبين.

المبحث الرابع

التعاون

التعاون في البر والإحسان خلق إسلامي جليل، كما أنه قيمة فطرية، وهو يعني المشاركة والمساعدة بين طرفين في انجاز أمر ما، ويختلف معناه ومقصده حسب طرفي المشارك في العمل، والذي يعنينا هنا هو المفهوم الإسلامي للتعاون بأنه "المساعدة على الحق ابتغاء الأجر من الله تعالى"[3]، أي أن تساعد من يحتاج إليك سواء كان مادياً أومعنوياً لتحقيق الحق ابتغاء مرضاة الله تعالى ونيل الأجر في الآخرة، ومن ذلك مساعدة العاصي والأخذ بيده لإخراجه من قعر الذنوب والآثام إلى نور الخير بالإرشاد الهادف والتعامل الحسن، وقد حثّ الله في القرآن الكريم المؤمنين على هذا الخلق الرفيع وقال آمراً لهم : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 2]، كما بيّن أيضا بأنه غير منحصر بين المؤمنين؛ بل هو خلق إنساني وينبغي أن يكون قائما بين جميع بني البشر أيا كان نوعه ودينه ومذهبه وعلى أساس البر والخير ، يقول تعالى:﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: 8].

---

[1]- البخاري، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم (3007)، 59/4، ومسلم، الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أهل بدر، رقم (2494)، 1941/4.

[2]- البخاري، الصحيح، كتاب الحدود، باب مايكره من لعن شارب الخمر، رقم (6780)، 158/8.

[3]- الخزار، خالد بن جمعة بن عثمان، موسوعة الأخلاق، الكويت: دار أهل الأثر، 1430ه، ص441.

والتعاون مع العاصي يكون بتوجيهه نحو الطريق الصحيح لمعالجة خطئه وإخراجه مما وقع فيه من المأزق والمعضلة بسبب معصيته، وتيسير أمره عليه من غير تعسير، وتوسيع الطريق له وعدم التضييق عليه، والنبي T يقول: ((بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا)) [1] ومنه تعامله T مع الأعرابي الذي بال في المسجد وزجره للصحابة حينما واجهوه بكلام جارح وأسلوب عنيف فأمرهم T بعدم زجره والتضييق عليه قائلاً لهم : ((دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ)) [2] . ويقول النووي: " وفي هذا الحديث- يريد حديث ((بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا)) - الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وفيه تأليف من قرب إسلامه وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلا قليلا، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدريج فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبا التزايد منها، ومتى عسرت عليه أو شك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أو شك أن لا يدوم أو لا يستحليها"[3]

ومن أورع الأمثلة في هذا المجال هو قصة الواقع على امرأته في شهر رمضان وهو صائم، فقد ورد في الصحيح عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قَالَ: ((بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ T، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكْتُ. قَالَ: «مَا لَكَ؟» قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ T: «هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟» قَالَ: لاَ، قَالَ: «فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»، قَالَ: لاَ، فَقَالَ: «فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا». قَالَ: لاَ، قَالَ: فَمَكَثَ النَّبِيُّ T ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ T بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ - وَالعَرَقُ المِكْتَلُ - قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَقَالَ: أَنَا، قَالَ: «خُذْهَا، فَتَصَدَّقْ بِهِ» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَوَاللَّهِ مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا - يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ - أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، فَضَحِكَ النَّبِيُّ T حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»)) [4]

وذكر بدرالدين العيني فوائد عديدة مما يستفاد من الحديث ومنها أنه قال : " وفيه: الرفق بالمتعلم والتلطف في التعليم والتأليف على الدين، والندم على المعصية واستشعار الخوف..... وفيه: التعاون على العبادة. وفيه: السعي على خلاص المسلم"[5]

وبهذا تظهر لنا أهمية التعاون مع العاصي لإخراجه من ظلمة المعصية لنور الصلاح والإحسان، وهو من الأخلاق النبوية الكريمة، والقيم الرفيعة في التعامل مع المذنبين.

المبحث الخامس

عدم السخرية منهم والترفع عليهم

خلق الله الإنسان وجعله مكرماً وفضله على سائر خلقه، ويقول تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: 70]، ولايجوز مس كرامته، والنيل من إنسانيته بأية ذريعة كانت، وأيا كان نوع الإنسان وجنسه، ويقول تعالى : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: 11]

ونهى النبي T عن اللعن والشتم ومن كل قول أو عمل من شأنه النيل من احترام الإنسان وشخصيته، ويقول T : ((لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ)) [1]، كما أنهT نهى عن التكبر على الناس والنظرة الدونية للآخرين، ويقول T:((لَا يَدْخُلُ

---

[1]- مسلم، الصحيح، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، رقم (1732)، 1358/3.

[2]- البخاري، الصحيح، كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد، رقم (220)، 54/1.

[3]- النووى، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1392هـ. 41/12، وينظر : القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (المتوفى: 544هـ) إكمال المعلم بفوائد مسلم، مصر: دار الوفاء، 1419ه. 37/6.

[4]- البخاري، الصحيح، كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان ولم يكن له شيء فتصدق عليه فليكفر، رقم (1936)، 32/3، ومسلم، الصحيح، كتاب الصيام، باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، رقم (1111)، 781/2.

[5]- العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (المتوفى: 855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العرابي. 34/11.

الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْر)) ثم عرف الكبر بقوله : ((الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ)) [2]. فبطر الحق يعني دفعه وانكاره ترفعاً، وأما غمط الناس فيعني احتقارهم والسخرية منهم[3].

وعلى هذا الأساس تعامل النبيT مع العصاة والمذنبين، ولم يكن T ليتكلم معهم بكلمة تسيء إلى إنسانيتهم وحرمتهم، كما أنهT علّم أصحابه ذلك وزجرهم إذا رأى منهم ما يدل على الإساءة إليهم، ومن ذلك قصة عبدالله - وقد سبق ذكرها في مطلب العدالة والإنصاف- الذي تكرر منه شرب الخمر مراراً، وفي كلّ مرة كان يعاقب على فعله هذا، وقد ضجر الصحابة من تكرر فعله هذا بكثرة حتى في أحد الأيام عند معاقبته لعنه صحابي تبرماً منه وتضيقا عليه، فنهاه النبي T من قوله هذا، وقال له:((لاَ تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) [4].

ومن باب النهي عن الترفع على العصاة هو ما روي عن جندب Z، أن رسول اللهT حدّث: ((أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ)) [5] فقوله:" وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ" جاء على سبيل الاحتقار للمذنب وازدرائه من أن تناله المغفرة، كما أنه اعجاب بالنفس لاعتقاده أن له عندالله من الكرامة والحظ والمكانة ما ليس للمذنب هذا، فجاء عقاب الله تعالى له على قدر سوء اعتقاده وشناعة قوله هذا. [6]

ففي الحديث تحذير شديد من احتقار المذنبين والتكبر عليهم، وهذا ليس من شيم المؤمن بالله تعالى؛ بل ينبغي التعامل معه على أساس الكرامة الإنسانية، وعدم الإساءة إلى شخصه أو إنسانيته لأي سبب كان فغاية الدين وتعاليمه هي معالجة أخطائه وإصلاحه وليس عقوبته أو إزدرائه -كما تبين لنا من خلال المطالب السابقة في هذا البحث - ويجب أن تكون هذه غاية حاملي الدين والمؤمنين بالله ورسوله ورسالته.

الخاتمة

الحمد لله أولا وآخراً، فالانسان أياً كانت مرتبته ومكانته فتعرضه للخطأ والوقوع في الزلل أمر حتمي إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، والهدف الأسمى في الإسلام في مواجهة العصاة هو الإصلاح والتوجيه نحو الخير وليس عقابهم وإيذائهم، والتعامل الصحيح هو ما يحقق تلك البغية المنشودة، وذلك بمراعاة إنسانيتهم؛ واحترامهم وتجنب كل ما يخدش شخصيتهم، او ينال من عرضهم ومكانتهم، والتعامل معهم بالرحمة والرفق والعدل، والنظر إليهم بعين الإنصاف، والتعاون معهم لخلاصهم من مأزقهم.

المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم:

1. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، صيد الخاطر، دمشق: دار القلم، 1425هـ - 2004م.
2. ابن بطال، أبوالحسن علي بن خلف بن عبد الملك، شرح صحيح البخاري، الرياض، مكتبة الرشد، 1423هـ- 2003م.
3. ابن حبان، أبوحاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ التميمي الدارمي البُستي، ، الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: ابن بلبان، الأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسي، بيروت، مؤسسة الرسالة. 1408هـ- 1988م.
4. أبو يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي، المسند، دمشق، دار المأمون للتراث. 1404ه- 1984م.

---

[1]- الترمذي، السنن، أبواب البر والصلة، باب ماجاء في اللعنة، رقم (1977)، 350/4، وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان، الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ترتيب: ابن بلبان، كتاب الإيمان، باب فرض الإيمان، رقم (192)، 421/1، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

[2]- مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (147)، 93/1.

[3]- ينظر: النووي، مصدر سابق، 90/2.

[4]- البخاري، الصحيح، كتاب الحدود، باب مايكره من لعن شارب الخمر، رقم (6780)، 158/8.

[5]- مسلم، الصحيح، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن تقنيط الإنسان من رحمة الله، رقم (2621)، 2023/4.

[6]- ينظر:القرطبي، أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (656 هـ)، المفهم لما أشكل من صحيح مسلم، دمشق: دار ابن كثير، 1417هـ. 607/6، والقاري، مصدر سابق. 1618/4.

5. أبوداود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، السنن، بيروت، المكتبة العصرية. بدون تاريخ.
6. الإتيوبي، محمد بن علي بن آدم بن موسى الولوي، البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، دار ابن الجوزي، 1436ه.
7. أحمد، أبوعبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المسند، بيروت، مؤسسة الرسالة. 1421 هـ - 2001م.
8. البخاري، أبوعبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، الصحيح -(الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) بيروت، دار طوق النجاة. 1422هـ.
9. الترمذي، أبوعيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، السنن، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1395هـ - 1975م.
10. الخادمى، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الحنفي، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، مصر: مطبعة الحلبي، 1348ه.
11. الرازي، أبوعبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، بيروت، دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.
12. الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، الكاشف عن حقائق السنن، الرياض، مكتبة نزار مصطفى الباز. 1417هـ - 1997م.
13. العيني، أبومحمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
14. القاري، علي بن محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، بيروت: دار الفكر، 1422هـ - 2002م.
15. القاضي عياض، أبوالفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، إكمال المعلم بفوائد مسلم، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. 1419هـ - 1998م.
16. القرطبي، أبوالعباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، بيروت: دار ابن كثير، 1417هـ - 1996م.
17. لاشين، موسى شاهين لاشين، فتح المنعم شرح صحيح مسلم، القاهرة، دار الشروق. 1423هـ - 2002م.
18. مسلم، أبوالحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم (الجامع المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، بيروت، دار إحياء التراث العربي. بدون تاريخ.
19. المقدسي، ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد، الأحاديث المختارة (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما)، بيروت: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، 1420هـ- 2000م.
20. النووي، أبوزكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي. 1392هـ.

References:

1. Ibn al-Jawzi, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abd al-Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi, Hunting of thought (Sayd al-Khatir), Damascus: Dar al-Qalam, 1425 AH - 2004 AD.

2. Ibn Battal, Abu Al-Hasan Ali bin Khalaf bin Abdul Malik, Explanation of Sahih Al-Bukhari, Riyadh, Al-Rushd Library, 1423 AH - 2003 AD.

3. Ibn Hibban, Abu Hatim Muhammad ibn Hibban ibn Ahmad ibn Hibban ibn Mu'adh ibn Ma'bad al-Tamimi al-Darimi al-Busti, charity in approximation Sahih Ibn Hibban, arranged by: Ibn Balban, Prince Alaa al-Din Ali bin Balban al-Farsi, Beirut, Al-Risala Foundation. 1408 AH - 1988 AD.

4. Abu Ya'la, Ahmed bin Ali bin Al-Muthanna bin Yahya bin Issa bin Hilal Al-Tamimi Al-Mawsili, The Ascribed (Al-Musnad), Damascus, Dar Al-Ma'moun Heritage. 1404 AH - 1984 AD.

5. Abu Dawud, Suleiman bin Al-Ash'ath bin Ishaq bin Bashir bin Shaddad bin Amr Al-Azdi Al-Sijistani, Tradition of the prophet , Beirut, Al-Maktabah Al-Asriyya. No date.

6. Al-Atiyubi, Muhammad bin Ali bin Adam bin Musa Al-Walwi, Ocean sea pouring in the explanation of Sahih Al-Imam Muslim bin Al-Hajjaj, Dar Ibn Al-Jawzi, 1436 AH.

7. Ahmed, Abu Abdullah Ahmed bin Muhammad bin Hanbal bin Hilal bin Asad Al-Shaibani, The Ascribed (Al-Musnad), Beirut, Al-Resala Foundation. 1421 AH - 2001 AD.

8. Al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail Al-Bukhari Al-Jaafi, Sahih Al-Bukhari (Collector ascribed authentic tradition, a summary of the things of the Messenger of God, peace be upon him, his Sunnahs and his days), Beirut, Dar Touq Al-Najat. 1422 AH.

9. Al-Tirmidhi, Abu Issa Muhammad bin Issa bin Sura bin Musa bin Al-Dahhak, Tradition of the prophet, Egypt, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Printing Company. 1395 AH - 1975 AD.

10. Al-Khademi, Muhammad bin Muhammad bin Mustafa bin Othman, Abu Saeed Al-Hanafi, Mahmoudian brillinance in explaining the Muhammadian method and the prophetic law in the biography of the Ahmadian, Egypt: Al-Halabi Press, 1348 AH.

11. Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad bin Omar bin Al-Hasan bin Al-Hussein Al-Taymi, Keys to the Unseen (The Great Interpretation), Beirut, Arab Heritage Revival House. 1420 AH.

12. Al-Tibi, Sharaf Al-Din Al-Hussein bin Abdullah, The detector the truth of tradition of the prophet, Riyadh, Nizar Mustafa Al-Baz Library. 1417 AH - 1997 AD.

13. Al-Aini, Abu Muhammad Mahmoud bin Ahmed bin Musa bin Ahmed bin Hussein Al-Ghaitabi Al-Hanafi, Mayor of reader in explanation Sahih Al-Bukhari, Beirut: Arab Heritage Revival House, undated.

14. Al-Qari, Ali bin Muhammad, Abu Al-Hasan Nour Al-Din Al-Mulla Al-Harawi Al-Qari, Elevator keys in explenation the lamp's niche, Beirut: Dar Al-Fikr, 1422 AH - 2002 AD.

15. Al-Qadi Ayyad, Abu Al-Fadl Ayyad bin Musa bin Ayyad bin Amrun Al-Yahsbi Al-Sabti, Complete the muelim with the benefits of Muslim, Egypt, Dar Al-Wafa for Printing, Publishing and Distribution. 1419 AH - 1998 AD.

16. Al-Qurtubi, Abu Al-Abbas Ahmad ibn Omar ibn Ibrahim Al-Qurtubi, The understander what is problim in Summary of Muslim's Book, Beirut: Dar Ibn Kathir, 1417 AH - 1996 AD.

17. Lashin, Musa Shaheen Lashin, Open blissful in explenation Sahih Muslim, Cairo, Dar Al-Shorouk. 1423 AH - 2002 AD.

18. Muslim, Abu al-Hasan Muslim ibn al-Hajjaj al-Qushayri al-Naysaburi, Sahih Muslim (Collector ascribed authentic tradition narration of justice from justice to the Messenger of God, peace be upon him), Beirut, Dar Ihya al-Tarath al-Arabi. No date.

19. Al-Maqdisi, Diya al-Din Abu Abdullah Muhammad bin Abdul Wahid, Selected Hadiths (extracted from selected hadiths that were not included by al-Bukhari and Muslim in their Sahihs), Beirut: Dar Khader for Printing, Publishing and Distribution, 1420 AH - 2000 AD.
20. Al-Nawawi, Abu Zakaria Muhyiddin Yahya bin Sharaf, Method in explenation Sahih Muslim bin Al-Hajjaj, Beirut, Arab Heritage Revival House. 1392 AH.